جهود قرّاء دمشق في تحفيظ القرآن الكريم

الدكتور عدنان بن عبد الرزَّاق الحموي العُلَبي

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة قطر

الملخَّص

الحمد لله ربِّ العالمين، تكفَّل بحفظ كتابه الكريم، فقال تعالى: (**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون [الحجر:9]وتعهد بجمعه،فقال سبحانه: (إن علينا جمعه وقرآنه)[القيامة: 17]** وأمر نبيَّه باتِّباع القراءة أسلوباً وطريقة، كما تلقَّاه مشافهة من أمين الوحي عن ربه عزَّ وجلَّ، فقام يتلوه متأسِّياً بقوله تعالى: (**فإذا قرأناه فاتبع قرآنه**) القيامة: [18] ، وتتالى القرَّاء يتلمَّسون نهج القراءة والإقراء، واختصَّ الله تعالى به أقواماً حفظوه لنا، فجعلهم أهلَه وخاصَّته، مؤكّداً ذلك بحديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لله أهلين من الناس)، قيل مَن هم يا رسول الله؟ قال: (أهل القرآن، هم أهل الله وخاصَّته)(1). وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيِّدنا محمد، المعلِّم الأول للقرآن الكريم، وسيِّدِ مَن حاز الخيريَّة في تعلُّم القرآن الكريم وتعليمه، فعن عثمان بن عفان ﷺ عن النبي ﷺ قال: (خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه)(2)، وأعلى مِن قدْر مَن مهر في تلاوته، بأن جعل رتبته في صحبة الملائكة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاقٌّ له أجران)(3)، وأعظمَ مِن حيازة شرف حفظ القرآن الكريم، حين أعلن مآل حملته وأهليهم يوم القيامة. فعن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه عن النبي ﷺ قال: (مَن تعلَّم القرآن فاستظهره وحفظه، أدخله الله الجنة، وشفَّعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت لهم النار)(4)، وبعد:

---

(1) إسناده حسن. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: 305/19، رقم الحديث: 12292، والمستدرك، الحاكم، كتاب فضائل القرآن: 556/1، رقم الحديث: 2046، وسنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فضل مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه، رقم الحديث: 211، وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل مَن قرأ القرآن، رقم الحديث: 3192.

(2) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه، رقم الحديث: 4639.

(3) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الماهر في القرآن، رقم الحديث: 1329.

(4) إسناده ضعيف لضعف رواته. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد: 420/2، رقم الحديث: 1278، ولفظ الترمذي بزيادة: (وحفظه، فأحلَّ حلاله وحرَّم حرامه..) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل قارئ القرآن، رقم

فإن مما تشرَّفت به هذه الأمة اختصاصها بخدمة هذا الكتاب العظيم، الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيد البشرية وخير الناس، نبيِّنا وحبيبنا وإمامنا وقدوتنا سيِّدنا محمد بن عبد الله ﷺ، فحفظه الرجال والنساء، والكبار والصغار، صدراً وسطراً، وتناقلته الأجيال، كابراً عن كابر، تواتراً مؤكّداً.

وقد تميَّز بحفظه خواصٌّ، نذروا أعمارهم لخدمته، وبذلوا وقتهم لنشره، ووظَّفوا طاقاتهم في سبيله؛ حفظاً وتحفيظاً، تعلُّماً وتعليماً. واشتُهروا عبر التاريخ بألقاب القرَّاء والحفَّاظ والجامِعِين، وكانوا بحقٍ منارات الهدى في عيون الطالبين، اختصَّهم الله تعالى باستيداع كلامه العظيم في صدورهم، وائتمنهم على هديه العزيز في ذاكراتهم، وانتشروا في البقاع والأصقاع عبر الدهور والعصور، فتكاد لا تجد زمناً إلا وفي عواصم الأمصار الإسلامية الشهيرة أعيان مشرقة لهؤلاء الحفظة، ونماذج مشرِّفة لجهودهم المباركة في تحفيظ القرآن الكريم.

ومن نافلة القول أن يُعدَّ شيخ القراء محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي رحمه الله تعالى أشهرَ روَّاد القراءة والإقراء في عصره بدمشق، وبموته تراجعت أنشطة القراءة فيها، إلى أن أحياها منذ قرنين تقريباً آل الحلواني، ومِن بعدهم آل دبس وزيت والكردي وسكَّر وغيرهم، ممن تميَّزوا بتمام ضبطهم وإتقان أدائهم، واشتهروا بنشاطهم في إحياء القراءة والتحفيظ. وقد آثرت في بحثي اختيار قرَّاء دمشق وجهودهم في تحفيظ القرآن الكريم كأنموذجٍ فيه يُحتذَى، ومثالٍ به يُقتدَى، باعتبار نشأتي في هذا الجو القرآني المميَّز، ومعاصرتي لعدد من شيوخ القراءة فيه، وما أكرمني الله تعالى وشرَّفني به، من قراءةٍ وحفظٍ وإجازةٍ، على عدد من أكابرهم، ولله تعالى الحمد والمنَّة.

وقد اخترت لبحثي خطَّة تفرَّعت إلى مقدِّمة، وتمهيد، ومبحثين رئيسين، وخاتمة؛ تناولتُ في المقدمة أهمِّية حفظ القرآن الكريم في حفظ مقوِّمات الأمَّة وثوابتها، وأثر هذا الحفظ في تربية الأجيال الصاعدة. وجاء التمهيد يوضِّح تاريخ علم القراءات في دمشق. وتخيَّرت في المبحث الأول نماذج مميَّزة لدُور ومدارس وأُسَر وبيوت قرآنيَّة دمشقيَّة عريقة، اشتُهرت بالقراءة والإقراء؛ فعرَّفتُ بها، ووضَّحتُ منهجها في التحفيظ، وبيَّنتُ دورها وأثرها في نهضة ظاهرة التحفيظ في دمشق، واستعرضت نماذج من حلقات الحفَظَة والقرَّاء والجامِعِين الدمشقيين المميَّزين، مشيراً إلى جهود النشاط النسائي في ظاهرة التحفيظ. وتعرَّضتُ في المبحث الثاني لجهود خيِّرة طيِّبة، وخبرات مميَّزة نيِّرة في طريقة التحفيظ، قام بها في دمشق شيوخ متخصصون في هذا المجال، وآتت ــ ولا تزال تؤتي ــ ثمارها يانعة؛ فاستعرضتُ خططها وطرائقها، واستشهدتُ بنماذج حيَّة من مساجد ومراكز ومعاهد للتحفيظ، وكذلك نماذج من برامج التحفيظ، ونشاط جمع القراءات. وبيَّنتُ ظاهرة انتشار الإجازات في القراءة حفظاً وجمعاً، والحرص على اكتسابها. منوِّهاً بمنهجية الحفَّاظ في طريقة الحفظ. ثم خلصتُ في الخاتمة إلى مجموعة من النتائج المستفادة، والتوصيات المقترحة التي تثري البحث، وتبرز أهدافه.

الحديث: 2830، وقال أبو عيسى: غريب وليس له إسناد صحيح، وابن عدي في الكامل: 788/2، وأبو نعيم في أخبار أصفهان: 255/1، وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة، باب فضل مَن تعلَّم القرآن وعلَّمه، رقم الحديث: 212.

وقد سلكت في البحث المنهجَ العلمي، فحرصتُ على توثيق المعلومات من مظانِّها المعتمدة حسب الأصول، وتجنَّبتُ الإطناب المملَّ، وتقصَّدتُ إبرازَ هدف البحث المنشود؛ من إلقاء الضوء على الجهود المميَّزة لقرَّاء دمشق، في نشر ثقافة الحفظ والتحفيظ للقرآن الكريم، ونيل الإجازة بالسند فيه، والدور المبارك الذي توارثوه، وكيف كان ــ ولا يزال، ولله تعالى الحمد ــ ينبض بالروح العالية، ويخرِّج الأجيال الصاعدة الحافظة والمتقنة والجامعة، وهذا من مبشِّرات الكفالة التي تكفَّل بها ربُّنا سبحانه في حفظ كتابه العظيم.

وختاماً أضع ملخَّص البحث بين أيديكم، راجياً أن تكون المساهمة مجدية في تواصل المشرق بالمغرب في تبادل الخبرات العلمية والعملية، وتمازج الأفكار والرؤى، وتوافر الجهود وتضافرها، سعياً لخدمة القرآن، وتنافساً في بذل كلِّ نافع وجديد، لتنشيط وتحديث وتطوير عملية الحفظ والتحفيظ في العالم الإسلامي، وتنشيط علم القراءات والإجازات فيها، فالعلم رحِم بين أهله، والله من وراء القصد، وهو المولى ونعم النصير.

خطَّة البحث:

وتتكون من مقدِّمة، وتمهيد ومبحثين رئيسين، وخاتمة.

المقدِّمة: وتبحث في أهمِّية حفظ القرآن الكريم في حفظ مقوِّمات الأمَّة وثوابتها، ورمزيَّة القرآن الكريم في وحدة الأمة، وجمع كلمتها، ومصدر قوَّتها، وأثر هذا الحفظ في تربية الأجيال الصاعدة.

التمهيد، ويتضمَّن: تاريخ علم القراءات في دمشق.

المبحث الأول: نماذج مميَّزة لدُور ومدارس وأُسَر قرآنيَّة دمشقيَّة، اشتُهرت بالقراءة والإقراء، ويتضمَّن:

المطلب الأول: التعريف بالدُور والمدارس القرآنيَّة الدمشقيَّة، ودورها في نهضة ظاهرة التحفيظ.

المطلب الثاني: التعريف بالأُسَر والبيوت القرآنيَّة الدمشقيَّة العريقة، وأثرها في نهضة ظاهرة التحفيظ.

المطلب الثالث: نماذج من حلقات الحفَظَة والقرَّاء والجامِعِين الدمشقيين المميَّزين.

المطلب الرابع: بيان جهود النشاط النسائي في ظاهرة التحفيظ.

المبحث الثاني: جهود خيِّرة طيِّبة، وخبرات مميَّزة نيِّرة في أسلوب التحفيظ، ونشاط جمع القراءات والإجازة فيها، ويتضمَّن:

المطلب الأول: نماذج حيَّة من مساجد ومراكز ومعاهد التحفيظ.

المطلب الثاني: نماذج من برامج التحفيظ، ونشاط جمع القراءات.

المطلب الثالث: ظاهرة انتشار الإجازات في القراءة جمعاً وحفظاً، والحرص على اكتسابها.

المطلب الرابع: منهجية الحفَّاظ في طريقة التحفيظ.

الخاتمة: وتتضمَّن مجموعة نتائج مستفادة، وتوصيات مقترحة.

جهود قرَّاء دمشق في تحفيظ القرآن الكريم ــ أُنموذجاً

المقدِّمة: وتبحث في أهمِّية حفظ القرآن الكريم في حفظ مقوِّمات الأمَّة وثوابتها، ورمزيَّة القرآن الكريم في وحدة الأمة، وجمع كلمتها، ومصدر قوَّتها، وأثر حفظه في تربية الأجيال الصاعدة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وتابعيه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

أهمِّية حفظ القرآن الكريم في حفظ مقوِّمات الأمَّة وثوابتها: مما لا جدل فيه أن الحديث عن كلام الله تعالى يُعدُّ من أعظم الحديث وأجلِّه، لتعلُّقه بكلام الله تعالى العظيم الجليل، حيث كان القرآن الكريم ــ ولا يزال ــ مصدر وحدة الأمَّة الإسلامية، وجمع كلمتها، ورمز قوَّتها، وعنوان عظمتها، إذ إنَّه الكتاب السماوي الوحيد الذي تمَّ له الحفظ من الضياع والتحريف، والعبث والتغيير. وهذه حقيقة مسلَّم بها، لا تحتاج لمزيد استدلالٍ عليها، ويكفي أن نتذكَّر أنَّه الكتاب الفريد في هذا الكون الفسيح الذي تتناقله الأجيال، كابراً عن كابر، تواتراً مؤكَّداً، وتتوارثه الأمة الإسلامية، إرثاً مقدَّساً في مشارق الأرض ومغاربها، نطقاً ورسماً، دون أيِّ خلل في هذه القضيَّة. ولم ولن تستطيع أن تمتد إليه يد العبث البشرية، ولا أن تفلح المحاولات العدوانيَّة الشيطانيَّة لتغيير فيه أو تبديل، لكفالة الله تعالى بحفظه. قال الله تعالى: (إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) [الحجر: 9]، وقد أثبت التاريخ هذه الحقيقة الباهرة، بأحداثه المؤكدة، ووقائعه الموثَّقة، وباءت المحاولات البائسة اليائسة في فشل وفضح وبوار(1). وسيبقى محفوظاً إلى قيام الساعة، وإن من أمارات قيام الساعة أن يُرفع القرآن؛ بمعنى أن يُمحى من السطور والصدور، وتلك من علامات الساعة الكبرى(2).

---

(1) تكرر ــ عبر التاريخ الإسلامي ــ اكتشاف أخطاء مطبعية غريبة ــ عمداً أو سهواً ــ في عدَّة دول غربيَّة وشرقيَّة، وصدرت عدة فتاوى شرعية لمرجعيَّات دينيَّة متعدِّدة؛ كرابطة العالم الإسلامي، والأزهر الشريف، وغيرهما، بضرورة سحب هذه النسخ، ومنعها من التداول بين المسلمين.

(2) عن حذيفة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام ولا صدقة ولا نسك، ويسري على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، ويبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها). قال صلة بن زفر لحذيفة: فما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صيام ولا صدقة ولا نسك؟ فأعرض عنه حذيفة فرددها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة، تنجيهم من النار، ثلاثاً. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. المستدرك،

القرآن الكريم رمز وحدة الأمَّة، وجمع كلمتها، ومصدر قوَّتها: حقَّاً إن القرآن الكريم هو رمز وحدة الأمَّة الإسلامية وقوَّتها وسؤددها، والالتفاف حوله سبيل منَعَة الأمَّة وعزِّها وكرامتها، وقد دعانا القرآن الكريم إلى الاعتصام بحبل الله تعالى المتين، حين قال سبحانه: ﴿**وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ**﴾ [آل عمران: 103]، ومن معاني تفسير حبل الله القرآنُ الكريم(1)، وبه جاءت أحاديث؛ منها ما رواه مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما؛ كتاب الله، وسنَّة نبيِّه)(2).

وما رواه الحارث عن علي رضي الله عنه مرفوعاً، قال: مررت في المسجد، فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على عليّ، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أوَ قد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ألا إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله؛ فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، مَن تركه مِن جبَّار قصمه الله، ومَن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿**إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ**﴾، مَن قال به صدق، ومَن عمل به أُجِر، ومَن حكم به عدل، ومَن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم)(3).

الحاكم: كتاب الفتن والملاحم، رقم الحديث: 8460، وسنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب ذهاب القرآن والعلم، رقم الحديث: 4049. قال ابن كثير تعقيباً على الحديث: وهذا دال على أن العلم قد يرفع من صدور الرجال في آخر الزمان، حتى إن القرآن يسرى عليه: أي يذهب بالليل، فيرفع من المصاحف والصدور، ويبقى الناس بلا علم ولا قرآن. انظر: البداية والنهاية، ابن كثير:كتاب الفتن والملاحم، باب افتراق الأمم: 24/10.

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: 396/1.

(2) موطأ مالك: كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر، رقم الحديث: 1395.

(3) سنن الترمذي: كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن، رقم الحديث: 2831. قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول. وفي حديث الحارث مقال، وسنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل مَن قرأ القرآن، رقم الحديث: 3197، ومصنف ابن أبي شيبة: كتاب فضائل القرآن، باب في التمسك بالقرآن، رقم الحديث: 2.

ولا ننسى في هذا المقام تصريح (غلادستون) رئيس وزراء بريطانيا سابقاً: (ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان)([1])، ويقول الحاكم الفرنسي في الجزائر في ذكرى مرور مائة سنة على استعمار الجزائر: (إننا لن ننتصر على الجزائريين ماداموا يقرؤون القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم)([2]). لقد كان من نشيد جيوش الاستعمار: (أنا ذاهب لسحق الأمة الملعونة، لأحارب الديانة الإسلامية، ولأمحو القرآن بكل قوّتي)([3]).

أثر هذا الحفظ في تربية الأجيال الصاعدة: يُلاحظ من خلال أسس التربية أن الطفل الناشئ في بيئة قرآنيَّة إنما ينشأ سعيداً مطمئناً، في جوٍّ آمن، وبيئة مستقرَّة، بمنأى عن التقلُّبات والتوترات النفسية، والمؤثرات الاجتماعية السلبية، حيث أثبت الواقع أن الغلام الذي يشِبُّ على حفظ القرآن الكريم، فإن سلوكه ملتئم منتظم، وأخلاقه حميدة رفيعة، ونشأته طبيعيَّة غير متوتِّرة، ينمو في بيئة صحِّية نظيفة، ـــ بيئة القرآن الكريم وأهله ـــ، بيئة نورانيَّة رحمانيَّة ملائكيَّة طاهرة، محفوظة من النزغات الشيطانيَّة، مكلَّلة بالعناية الإلهية،كيف لا وقد ورد في السنَّة المطهَّرة تنزُّل الملائكة عند التلاوة([4])، فكيف إذا داوم الفتى على الحفظ والتلاوة، وترعرع في بيئة القرآن، فإنه لاشكَّ جليس الملائكة، ومن مهامِّ الملائكة ووظائفها حفظ الإنسان من شرِّ الشيطان ووساوسه. لذلك فإنَّنا نرى مِن أهل العلم مَن يعالج بالقرآن الكريم أمراضَ وساوس الشياطين ومسِّهم، لأن الشيطان يفرُّ من الذِكر، ولا يستطيع الصمود أمامه، وبالتالي فإن أثر حفظ القرآن الكريم واضح ظاهر في سلوكيات الحافظ الناشئ، مقارنة بغيره من الناشئة الذين لا يقيمون ـــ ولا أهلوهم ومربُّوهم ـــ لهذه الظاهرة الطيبة أيَّ ملاحظة واهتمام.

([1]) انظر: كتاب قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم: ص: 37.

([2]) انظر: المصدر السابق: ص: 37.

([3]) انظر: المصدر السابق: ص: 53.

([4]) في إشارة إلى حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مَن نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومَن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومَن ستر مسلماً، ستره الله في الدنيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. ومَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة. وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. ومَن بطَّأ به عمله، لم يُسرع به نسبه). صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم الحديث: 4867.

حافظ القرآن إنسان ملائكي يمشي على الأرض، يتقلَّب في حفظ الله تعالى وكنَفه، ورحم الله تعالى مَن قال: مَن حفظ القرآن حفِظَه القرآن، وهذا واقع مشاهد محسوس، ونتذكَّر حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (مَن قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه، غير أنه لا يوحى إليه، لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجدَّ مع جد، ولا يجهل مع جهل، وفي جوفه كلام الله تعالى)[1]. فهو متشبِّه بالمَلَك المقرَّب، والنبيِّ المرسل، إلا أنَّه دونهما في المرتبة، لأنَّه من بني البشر، الذي تنطبق عليه صفات البشرية، في غلَبة الخطأ والنسيان إذ عُصِم الأنبياء منهما، وتُلازمه المسؤولية والتكليف الذي خرجت الملائكة عنهما.

وقد أثبتت الدراسات العلمية والتجارب العملية، أن حفظ القرآن في الصغر ينمِّي الذاكرة، وهذا ملاحظ معروف، ومجرّب ملموس، ولو خُلِّي بين الفتى ومغريات الحضارة المعاصرة، وتقنياتها اللاهية، لرأينا منه العجَب العُجاب. ولا يفوتنا التذكير بأشهر أسلافنا من العلماء، ممَّن تولتهم الرعاية الأسرية لإتمام مرحلة الحفظ المبكِّر للقرآن الكريم؛ كالإمام مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم، وغيرهم جِدٌّ كثير. وهذه ظاهرة مباركة لا تزال منتشرة في عديد من أقطار العالم الإسلامي، في تعهد الناشئة بحفظ القرآن الكريم، من خلال انتشار مراكز ومعاهد خيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وهي امتداد لما كان يُعرف فيما سلف من العصور بالكتاتيب، واشتهارها بالمُلا، أو الكُتَّاب، أو المطوِّع، أو الخُجَا للشيخ المحفِّظ، والخُجَاتي للشيخة المحفِّظة.

التمهيد، ويتضمَّن: تاريخ علم القراءات في دمشق: يعود تاريخ علم القراءات في دمشق إلى القرن الأول الهجري، إثر فتح الشام، حيث دخلها كثير من الصحابة، واستقروا فيها، فكانت الحاجة ماسة لمن يُقرئهم، وكان من حظِّها ثلاثة من مشاهير قرَّاء الصحابة ﷺ، سيدنا أبو الدرداء عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي ﷺ حكيم الأمة، وأحد الذين جمعوا القراءات على عهد النبي ﷺ، فقد رشَّحه عمر ﷺ في خلافته لهذه المهمة في دمشق، كما ولي القضاء فيها زمن عثمان ﷺ، وتفرَّغ للإقراء في مسجدها الكبير، فقرأ عليه ما يزيد على ألف وستمائة، ونبغ عليه طلاب كثيرون؛ أشهرهم: زوجه أم الدرداء الصغرى، وعبد الله بن عامر اليحصبي، أحد القراء السبعة. كما كان لسيدنا فضالة بن عبيد الأنصاري ﷺ فضل تعليم القراءة في دمشق أيضاً، وهو ممن شهد أحداً وما بعدها، وشهد فتح الشام ومصر، كذلك كان لسيدنا واثلة بن الأسقع الكناني الليثي ﷺ، الفضل في الإقراء، وهو من أهل الصفَّة، وممن شهد تبوك وفتح الشام، وهو آخر الصحابة ممن مات بدمشق، ثم تتابع القرَّاء فيها من التابعين وتابعيهم؛ طبقات عن طبقات، ومن أشهر قرَّاء التابعين فيها أبو مسلم الخولاني، وأبو إدريس الخولاني، وأم الدرداء الصغرى، ومسلم الخزاعي، وقبيصة بن ذؤيب، وأبو عمران مولى أبي الدرداء، والمغيرة بن أبي شهاب، والضحاك بن مزاحم، وعبد الله بن عامر، وغيرهم خلق كثير، ومن أشهر قرَّاء تابعي التابعين: هشام الجرشي، وسعيد التنوخي، وصدقة الدمشقي، ويحيى السلمي، وسويد الدمشقي،

---

(1) حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك، الحاكم: كتاب فضائل القرآن، باب في فضل مَن قرأ القرآن، رقم الحديث: 2028، ومصنف ابن أبي شيبة: كتاب فضائل القرآن، باب فضل مَن قرأ القرآن، رقم الحديث: 2.

وأيوب التميمي، وغيرهم خلق كثير، وتتابع القرَّاء انتشاراً وازدياداً قرناً بعد قرن، وكان كل قرن يتميز عن سابقه بازدهار علم القراءات، وانتشاره وتوسعه، واشتهار علو الإسناد، وتعدد الشيوخ لتلقِّي القراءة، وبقيت قراءة عبد الله بن عامر منتشرة مشتهرة في دمشق دون سواها إلى القرن السادس، حيث اشتهرت قراءة أبي عمرو بن العلاء وبقيت إلى القرن العاشر، حين قدم لدمشق علماء وقضاة في الخلافة العثمانية، فكانوا يتلون برواية حفص عن عاصم، وحينذاك انتشرت هذه الرواية بحكم الواقع، واستمرت إلى العصر الحاضر، ويعود للإمام ابن الجزري الفضل في نشر القراءات العشر، معتمداً على القصيدة الطيبة، إضافة إلى الشاطبية، حيث انحصرت لديه أعلى الروايات وأصحها مما تلقَّاه عن كبار قرَّاء مصر والشام، لذلك فإن أسانيد العالم الإسلامي في القراءة تلتقي عنده. وقد نشط علم القراءة في عصره بجهد مميز فيه؛ فقد كثر طلابه ومنهم أبناؤه، الذين أخذوا عنه هذا العلم، وارتحلوا ينشرونه في بقاع شتى؛ كالحجاز وما وراء النهر ومصر والروم والبصرة وشيراز وغيرها. وقد شهد نشاط الجمع والإقراء حالة من الفتور بعد عصر ابن الجزري، إلى أن أحيا هذا النشاط آل الحلواني قبل قرنين تقريباً، كما سنرى لاحقاً([1]).

المبحث الأول: نماذج مميَّزة لدُور ومدارس وأُسَر وبيوت قرآنيَّة دمشقيَّة عريقة، اشتُهرت بالقراءة والإقراء، ويتضمَّن المطالب الأربعة التالية:

المطلب الأول: التعريف بالدُور والمدارس القرآنيَّة الدمشقيَّة، وبيان دورها في نهضة ظاهرة التحفيظ في دمشق: اللافت للانتباه هو وقف الأوقاف الخاصة لهذه الدُور والمدارس القرآنية في دمشق، وأنها أوقفت على تعليم وتحفيظ القرآن الكريم، وقد تتبع المؤرخون هذه الأوقاف، وأثبتوا وقفيَّتها، وبيَّنوا خدماتها، وسأعدِّد أشهرها تعداداً، وأعرِّف بدار، ومدرسة منها لتميُّزهما، وأحيل إلى المراجع العلمية المتخصصة في توصيف هذه الدُّور والمدارس ومواقعها. ويلاحظ أن بعض هذه الدُور والمدارس لا يزال بنيانها قائماً إلى اليوم شاهداً عليها، وبعضها لم يكتب له الاستمرار، فتحوَّل إلى بيوت سكنية، أو محلات تجارية، أو اندثر بحكم توسُّع البنيان، وشقِّ الطرقات، كما يضاف إليها عدد من التُرَب الموقوفة؛ كتربة أم الصالح، والتي كانت مركزاً لمشيخة القرَّاء([2]):

أولاً: الدُور القرآنية:

1. دار القرآن الرشاشية.
2. التربة الملكية الأشرفية.
3. دار القرآن الوجيهية.

([1]) للتوسُّع في هذا التمهيد يُنظَر في: القراءات وكبار القرَّاء في دمشق من القرن الأول الهجري حتى العصر الحاضر، الحافظ.

([2]) للتوسُّع في هذا المطلب يُنظَر في: دُور القرآن الكريم بدمشق، الحافظ، ودُور القرآن في دمشق، النعيمي، تحقيق المنجد.

4. دار القرآن السنجارية.
5. دار القرآن المعبدية.
6. دار القرآن والحديث الشريف الصبابية.
7. دار القرآن والحديث الشريف التنكزية.
8. دار القرآن الأفريدونية.
9. دار القرآن العنبرية.
10. دار القرآن السَّلاَّمية.
11. دار القرآن التفتازانية.
12. دار القرآن الناصرية.
13. دار القرآن الهلالية.
14. دار القرآن الجزرية.
15. دار القرآن الهروية الصوفية.
16. دار القرآن الإسعردية.
17. دار القرآن الصابونية.
18. دار القرآن الخيضرية.
19. **دار القرآن الدلاميَّة؛ تاريخها ماضياً وحاضراً:** فقد أنشأها التاجر الكبير أبو العباس أحمد بن دلامة البصري الدمشقي إلى جانب داره سنة 847 هجرية. وتميَّزت الوقفية بتعيين إمام وقيِّم وستة أنفار من الفقراء الغرباء المهاجرين في قراءة القرآن، إضافة إلى ستة أيتام بالمكتب على بابها. إضافة إلى قارئ للبخاري، وناظر. وجعل لها مخصصات منتظمة من الطعام واللحم والحلوى والملابس والدراهم والزيت والشمع. ولا تزال هذه الدار إلى اليوم شاهدة، تحوَّلت بعدها إلى مسجد عام، وقد درَّس فيه الفقه والحديث الشيخ محمد صالح العقاد، كما تولَّى الإقراء فيه الشيخ عرابي ريحان، ثم من بعده ابنه الشيخ عمر ريحان، والذي عاصرته قارئاً جامعاً للقراءات في مجالس القراءة بدمشق، رحم الله تعالى الجميع.

ثانياً: المدارس القرآنية:

1. المدرسة الصالحية.
2. المدرسة العثمانية.
3. المدرسة المقدمية الجوانية.
4. المدرسة العادلية الكبرى.
5. المدرسة الزنجارية، ويقال لها: (الزنجيلية).
6. دار الحديث الأشرفية.

7. المدرسة الفارسية.
8. المدرسة القجماسية.
9. **المدرسة العمرية؛ مناهج تعليم القرآن والقراءات فيها:** لقد أوقفها الإمام أبو عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي على تعليم القرآن والفقه الحنبلي، ثم أشرف عليها شيوخ الإقراء والحفَّاظ والقرَّاء، وجامعو القراءات من أهله وتلاميذه المقادسة وغيرهم. وكانت المدرسة العمرية جامعة لكل التخصصات في علوم القرآن والقراءات، فقسم لحفظ القرآن، وقسم لحفظ القراءات، وآخر لتلقين الأطفال، ورابع للتلاوة من المصاحف، وخامس للمكفوفين، وسادس لعلوم القرآن من تفسير وغيره، وهكذا. ولما توفي أبو عمر توزع أولاده وأهله والمشرفون على المدرسة حلقاتها المتعددة، التي زادت في وقت واحد على خمسين حلقة، في زوايا المدرسة وأرجائها وإيوانيها وخلاويها التي وصلت إلى ثلاث مئة وستين خلوة. وكانت التلاوة مستمرة لا تنقطع ولا تفتر ساعة من ليل أو نهار، ولها وقف خاص، يدأب عليها الطلبة المقيمون، وقد وصل عددهم في بعض الأزمان إلى سبع مئة. أما ختم القرآن فقد خُصِّص لأفراد كل فئة من أجله مكان معين ووقت محدد، يقرؤون فيه كل يوم على الغالب من بعد صلاة المغرب سُبُع القرآن، ثم يختمونه آخر الأسبوع. وعُيِّن من أجل الأطفال شيوخ مختصون بهم، يعلمونهم التلاوة والتجويد، يُسَمَّون شيوخ التلقين، ولهم وقف خاص بذلك، وهناك وقف آخر لتحفيظ المكفوفين والعناية بشؤونهم. إن من يتتبع أحوال المدرسة العمرية يجد أنها أشبه بكلية جامعة لمختلف فئات الطلاب وطبقاتهم ومستوياتهم، أسست لتعليم القرآن وحفظه، وجمع رواياته وعلومه، إضافة إلى تعليم الفقه وأصوله، ورواية الحديث وعلومه(1). قال أبو شامة: وقد حفظ القرآن بها أمم لا يحصون(2). وقال النعيمي: وشيوخ إقراء القرآن بها داخل المدرسة سبعة: أحدهم على الخزانة الغربية، استجدَّه ابن مبارك واقف المدرسة الحاجبية، والآخر على الشرقية، وآخر بينهما، وشيخ المدرسة في المحراب، والآخر شرقيّه، واثنان غربيّه، وحلقة الشيخ زين الدين ابن الحبال لإقرائه، وإقراء العلم بين بابي المدرسة والسلَّم الشرقيين. وبها سُبُع يُقرأ كل يوم بالإيوان القبلي يجتمع فيه خلائق، يختمون القرآن فيه في كل أسبوع مرة، وسُبُع بعد المغرب، ورتّب فيها أسباع أخرى انقطعت. وبها قراءة الثلثين بشيخ مرتّب، يقرأ عليه كل من يقرأ في المنصورة، وهي لا يترك فيها القراءة طول النهار. وبها في الإيوان القِبْلي بين بابي المدرسة والسلم الشرقيين، يُقرئ في القرآن والعلم في سائر المذاهب الشيخ زين الدين ابن الحبال، وكان يجلس عن يمينه أخوه شهاب الدين، ويجلس معه الشيخ عثمان

---

(1) المقصد الأرشد، ابن مفلح: 349/2.

(2) القلائد الجوهرية، ابن طولون: 263/1.

التليلي، والشيخ شمس الدين الجراعي، ويقع هناك خير كثير. ثم بعد موته ترك ذلك. وبها شيخ لتلقين الأطفال والأضرَّاء[1].

المطلب الثاني: التعريف بالأُسَر والبيوت القرآنيَّة الدمشقيَّة العريقة، وبيان أثرها في نهضة ظاهرة التحفيظ في دمشق. وهنا أعرِّف بأشهر هذه الأسر القرآنية، حيث هي جِدُّ عديدة.

أولاً: آل الحلواني: وإليهم يرجع الفضل في انتشار علم القراءات في بلاد الشام، بعد مروره بفتور دام عدة قرون، بعد عهد الشيخ ابن الجزري رحمه الله تعالى، إلى أن أحياه في منتصف القرن الثالث عشر الهجري الشيخ أحمد بن محمد علي الحلواني الرفاعي الكبير، مجدِّد علم القراءات، وشيخ القرَّاء في عصره، والذي أخذ هذا العلم عن الشيخ أحمد المرزوقي في مكة، وتلقَّاه عنه تلميذه الشيخ عبد الله المنجد، اللذَين نشرا علم القراءات في دمشق، من طريق الشاطبية والتيسير والدرة والتحبير وطيبة النشر، وتلقَّاه عنه أيضاً ولده الشيخ محمد سليم، الذي انتقلت مشيخة القراءة إليه، ثم إلى حفيده الشيخ أحمد، ثم إلى أخيه الدكتور محمد سعيد الحلواني، ثم إلى الشيخ حسين خطاب رحمهم الله أجمعين، حيث آلت حالياً إلى الشيخ محمد كريِّم راجح حفظه الله تعالى، وأمدَّ بعمره، إذ تُعدُّ دمشق اليوم بحقٍّ مركزاً لنشر علم القراءات في سورية وما جاورها.

ثانياً: آل الحافظ (دبس وزيت): وهي أسرة دمشقية عريقة، اشتهرت بلقب الحافظ، لكثرة حفَّاظ القرآن البارعين فيها، وقد بزغ نجم الشيخ عبد الوهاب الحافظ الشهير بدبس وزيت متألِّقاً، إذ حفظ القرآن على والده الشيخ عبد الرحيم الحافظ قبل البلوغ، ثم أخذ القراءة على الشيخ محمد سليم الحلواني شيخ قرَّاء عصره، الذي ضبط له أصول التلاوة. كما أخذ علوم الشريعة والعربية من فقه وأصول وحديث وبلاغة ومنطق على أكابر علماء عصره، فكان يلقَّب بمقرئ دمشق وفقيهها، كما لقِّب بأبي حنيفة الصغير، وقد أتقن مخارج الحروف وصفاتها، حتى إن كلامه العادي كان مجوَّداً لشدة ضبطه وإتقانه للتجويد، واشتهرت قراءته بالدبسيَّة لسِمَتِها المميَّزة. وكان يقصده القاصدون من مستويات شتَّى للقراءة، حتى إن طلابه مميَّزون بهذه السِمَة في ضبط مخارج الحروف، وإتقان صفاتها. وكان يُقرئ في غرفته المتواضعة في بيته، وفي زاويته المشهورة في جامع التوبة، واشتهر بالورع والزهد والتحري الدقيق في طلب الحلال، وعزة العلم، والدأب على التعلم والتعليم. فكان مثالاً للعالم الرباني في سَمْتِه وهيبته ونوره وصفائه وفقهه وجدِّيته، بعيداً عن المظاهر والمناصب وحبِّ الدنيا، لذا كان محطَّ حب وثقة وتقدير من العلماء والعامة. وقد وضع رسالة مفيدة مركَّزة في علم التجويد كُتِب لها الانتشار والقبول، واشتُهرت بطبعها وإلحاقها نهاية عدة طبعات مصاحف. وله فضل كبير على أساتذة الجيل الحاضر وعلمائه وقرائه، فقد درَّس التجويد في الثانوية الشرعية بدمشق لفترات، وتخرج على يديه نخبة من القَرَأة المميَّزين، ولهم أثر بارز في المجتمع القرآني بدمشق اليوم، حيث أثْرَوا عملية الإقراء والتحفيظ بعلمهم وجهدهم، خاصة في جامع التوبة حيث كان مجاوراً له، والذي نشر الشيخ علم التجويد في زواياه،

---

[1] الدارس، النعيمي: 109/2، والمدرسة العمرية، الحافظ: ص: 327، والقلائد الجوهرية، ابن طولون: 265/1.

وترك فيه بصمات نيرة، لا تزال تتألق إلى اليوم حاضرة شاهدة على قراءته، من خلال إرثه العلمي المتنامي في قراءات طلابه، ونشاطهم في التحفيظ، ونقلهم هذا الإرث إلى الأجيال، رحمه الله رحمة واسعة(1).

ثالثاً: آل الهبه: وهم الشيخ أبو أنور خليل، والشيخ أبو أحمد قاسم هبه، ابنا الشيخ أحمد هبه، رحمهم الله تعالى أجمعين، وكانا مميَّزَين بمتانة الحفظ وتمكُّنهما فيه، والضبط والأناة في أداء التلاوة. إذ أنهما أفادا كثيراً من قراءتهما على الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، وإضافة إلى عملهما كتاجرَي صوف مشهورَين، فقد تفرَّغا للقراءة والإقراء في عدد من المجالس المفتوحة في المساجد؛ كمسجد السباهية، والنقشبندي، ومجمع الأقصاب الإسلامي، وقد حفظ عليهما، وتخرَّج من حلقاتهما خلق كثير، ويتميز طلابهما بالأداء المميز، والضبط والإتقان، وهناك من أبنائهما مَن يتابع مسيرة التحفيظ حالياً.

رابعاً: آل سُكَّر: وعميدهم شيخنا وأستاذنا فضيلة الشيخ محمد بن طه سُكَّر رحمه الله تعالى، والذي تابع نشاط الإقراء من بعده ولداه الشيخ هشام، والشيخ طه، وصهره الدكتور سامر النص، إضافة إلى النشاط النسائي المستمر لأهل بيته من أخوات وبنات. وقد كان الشيخ محمد سُكَّر لسنوات عديدة يُقرئ يومياً بعد الفجر إلى ما بعد الشروق بفترة في بيته، وبعد العصر في مسجد سوقه، حيث كان تاجراً في سوق الخياطين، وبعد المغرب في جامع الشيخ محيي الدين، حيث كان إماماً فيه، وله عدد من الجلسات القرآنية المنتظمة في البيوت بعد صلاة العشاء، وقد تابع إدارة حلقة الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت الأسبوعية بعد وفاة الشيخ عِشاء كل إثنين، وختم فيها عدد من الحفظة، كما كان له نشاط أسبوعي كل أربعاء في جامع التوبة من العصر إلى العشاء، وقد خرَّج أجيالاً من خلال هذا النشاط، وترك آثاراً شاهدة على عطائه ومتابعته، كما كان يؤم التراويح بصلاة الجزء سنين طويلة في جامع الروضة، وكان يتردد عليه في مجالسه المختلفة أعداد غفيرة من القَرَأة، وغالبهم يكمل مشواره عنده حتى يتمّ حفظه، ويشرع في جمع القراءات، وقد أكرمني الله تعالى بالختم غيباً عنده، والإجازة منه في القراءة والإقراء، برواية حفص عن عاصم، بالسند المتواتر المتصل، كما وفقني الله تعالى لمتابعة مرحلة جمع القراءات عند الشيخ، وقطعت فيها شوطاً، لولا ظروف السفر التي أعاقت مرحلة إتمام الجمع.

خامساً: الشيخ أبو الحسن محيي الدين الكردي: وقد حفظ القرآن الكريم في الصغر، وجمع القراءات على الشيخ محمود فائز الديرعطاني، مع رفيق دربه الشيخ محمد سُكَّر رحمهم الله أجمعين، وكان يُقرِئ في جامع التيروزي، وحين انتشر النشاط الدعوي للشيخ عبد الكريم الرفاعي في مسجد سيدنا زيد بن ثابت فرَّغ الشيخ أبا الحسن الكردي للقراءة والإقراء في المسجد، كما توسَّع نشاط مسجد سيدنا زيد، ليشمل مساجد عديدة في دمشق، وبالتالي تزايد ولا يزال نشاط الإقراء في هذه المساجد، منذ ما يزيد على نصف قرن، بفضل الله

---

(1) بتصرف من ترجمته في كتاب الجامع الأموي بدمشق، (نصوص)، الحافظ: ص: 167، ودُور القرآن الكريم بدمشق، الحافظ: ص: 273.

تعالى وتوفيقه. ونشطت في زمن الشيخ إجازته بالسند، حيث كان لذلك الأثر الطيب في إقبال الناشئة عليه للقراءة والحفظ والجمع، ومما تميَّز به الشيخ رحمه الله تعالى منْح الإجازة بالسند على أداء التلاوة المتقنة الحاضرة، دون الحفظ الغيبي الكامل، فكان يجيز على ذلك تشجيعاً وحثّاً، للإقبال على تلاوة كتاب الله تعالى، وقراءته صحيحاً على أهله.

سادساً: الشيخ عبد الرزاق الحلبي: يُعدُّ الشيخُ الطالبَ النجيب الأول من طلاب الشيخ صالح فرفور رحمه الله تعالى مؤسس معهد الفتح الإسلامي، والذي يُعدُّ اليوم بمثابة أكبر جامعة أهلية شرعية في دمشق، حيث يخرِّج هذا المعهد كل عام مئات من طلاب العلم الشرعي والقرَّاء والعلماء والدعاة من أهل سورية، ومن الوافدين إليها لطلب العلم الشرعي، ويوفر المعهد قسماً داخلياً للطلاب على نفقة أهل البر. وللشيخ عبد الرزاق تاريخ مجيد حافل بالعطاء العلمي والفقهي والتحفيظي، فقد أدار معهد الفتح حياة شيخه المؤسس، ثم رأس المعهد بعده إلى عهد قريب، حين أقعده المرض شفاه الله تعالى، وأمده بالعافية والعمر المديد، وقد جمع إلى جانب تمكنه في الفقه الحنفي والتفسير وعلوم الآلة حفظَ القرآن وجَمْعَ القراءات، وكان مجلسه العلمي قائماً إلى عهد قريب في جامع بني أمية الكبير، إذ كان يديره لسنين طويلة، فكان يُقرئ القرآن، ويتابع جامِعِي القراءات بعد صلاة كل فجر وعقب انتهاء مجلس العلم، وفي المعهد نهاراً، وقد تخرَّج على يديه الأجيال من القرَّاء والجامِعِين والفقهاء والدعاة، وهو علَم مشهور، وله طلاب كُثُر، وفدوا إليه من أصقاع مختلفة، فطلبوا العلم من أهله، وانتشروا في مشارق الأرض ومغاربها؛ قرَّاء وحفَظَة ودعاة وعلماء، بعد تخرجهم من معهد الفتح الإسلامي، الذي له الأيادي البيضاء على أصقاع عديدة في العالم الإسلامي، في نشر القراءة والعلم الشرعي، من خلال خرِّيجيه المميَّزين.

سابعاً: الشيخ محمد كريِّم راجح: وهو شيخ القرَّاء الحالي حفظه الله تعالى، أخذ القراءة عن الشيخ محمد سليم الحلواني والشيخ محمود فائز الديرعطاني، وجمع إلى القراءة علومَ الشريعة وفنون علوم الآلة، فهو خطيب مفوَّه، وفقيه شافعي محنَّك، ومحدِّث بليغ، ولغويٌّ فصيح، ويُعدُّ من أوائل طلاب الشيخ حسن حبنَّكة الميداني، إلى جانب الشيخ حسين خطاب رفيق دربه في طلب العلم، واللذَين لهما الأثر الطيب، خاصة على أهل حي الميدان في دمشق في نشر القراءات والعلوم الشرعية والدعوة والتوجيه، حيث جمع القراءة عليهما عدد كبير من الحفظة المتقنين.

ثامناً: الشيخ بكري الطرابيشي: وهو من القرَّاء الجامعين المشهورين، وكان يعقد مجلس القراءة في بيته، وفي مسجد الخير في حي المهاجرين، وتخرَّج على يديه جيل من الحفَظَة، توزَّع عدد منهم خارج سورية، ولهم نشاط تحفيظي مميَّز في دبي والكويت وغيرها. ويشتهر الشيخ بإسناده العالي(1)، وهو بقية سلف القرَّاء

---

(1) الإسناد العالي: هو أقل عدد في شيوخ سلسلة الإسناد من النبي ﷺ إلى يومنا هذا، والشيخ بكري الطرابيشي يحفظه الله تعالى صاحب أعلى إسناد حالياً على وجه الأرض، حيث عدد شيوخ سلسلة إسناده (28) شيخاً، وهذا أقل عدد على

الحاليين في دمشق إلى جانب الشيخ عبد الرزاق الحلبي، والشيخ محمد كريِّم راجح، أمد الله بحياتهم. والقَرَأة الموجودون في الساحة حالياً، داخل وخارج سورية، كلهم من طبقة الجيل الثاني الشبابي، أو الخَلَف لهذا السلف الصالح في القراءة.

المطلب الثالث: نماذج من حلقات الحفَظَة والقرَّاء والجامِعِين الدمشقيين المميَّزين: تشتهر دمشق بالنشاط القرآني المميَّز، على مستوى الأفراد والمساجد واللقاءات الاجتماعية، وتكاد لا تخلو أسرة دمشقية عريقة إلا ولها في ثنايا القرن الماضي فرد أو أكثر منها من جامِعِي القراءات، أو الحفَظَة، أو طلاب الحفظ، نظراً لكثرة حلقات التحفيظ، وتوافر المحفِّظين المحتسبين في المساجد والأحياء السكنية، وانتشار الكتاتيب، ويمكن أن نسجل للتاريخ مقارنة بين الماضي والحاضر لهذه النماذج؛ فقديماً يندر أن تجد إماماً غير حافظ، وكثيراً ما تجد نماذج متنوعة لكوادر المجتمع المختلفة من الحفَظَة أو القَرَأة. فهناك التجار والعمال وأصحاب المهن والحِرَفيُّون، وحتى على المستوى النسائي من ربَّات البيوت، وعديد منهم أمِّيٌّ لا يعرف القراءة والكتابة، لكنه يقرأ ويحفظ القرآن بشكل جيد، والفضل يعود لانتشار حلقات التحفيظ بكثافة. بينما الآن اقتصر نشاط التحفيظ على مراكز معتمدة في المساجد، ورغم كل الظروف الطارئة، ومغريات الحياة، وفتن الزمان، إلا أن النشاط القرآني في دمشق على مستوى الكبار والصغار، والرجال والنساء، كان ولا يزال يبشر بالخير، بعون الله وتوفيقه، تصديقاً لدعوة النبي ﷺ في البركة للشام بقوله: (اللهم بارك لنا في شامنا)(1). ولا شك أن دوام امتداد ظاهرة حفظ القرآن الكريم وتحفيظه، واستمرار انتشار علم القراءات في بلاد الشام من أعظم ثمار هذه البركة.

وهنا أعرض لبعض هذه النماذج التي عاصرتها، والتي لها امتداد وجذور عريقة في مدينة دمشق:

أولاً: مجلس القرَّاء الأسبوعي: وهو المجلس الأسبوعي لقرَّاء دمشق الجامِعِين، وقد تأسس في حياة الشيخ حسن حبنَّكة الميداني رحمه الله تعالى، ويضم كبار المشايخ الحفظة، المتقنين للقراءة الجامِعِين للقراءات، وهم بحدود العشرة تقريباً، يلتقون في هذا المجلس، ويقرؤون مدارسة ختماً منتظماً، بمعدل ثلاثة أجزاء في الجلسة، وقد عاصرته منذ مشيخة الشيخ حسين خطاب لقرَّاء دمشق، بعد وفاة شيخ القرَّاء الدكتور محمد

الإطلاق حالياً، بينما الموجود الآن من المجازين الأحياء مَن يُحسب عدد شيوخ إسناده في سلسلة الإسناد من التسعة والعشرين والثلاثين شيخاً فصاعداً.

(1) وتمام الحديث: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا، فقال: اللهم بارك لنا في شامنا، وبارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا، قال: هنالك الزلازل والفتن، وبها، أو قال: منها يخرج قرن الشيطان). هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث ابن عون. سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب فضل الشام واليمن، رقم الحديث: 3888. وقد أخرجه البخاري في صحيحه موقوفاً على ابن عمر: كتاب الجمعة، باب ما قيل في الزلازل والآيات، رقم الحديث: 979.

سعيد الحلواني، رحمهما الله تعالى، ولا يزال هذا المجلس ينعقد إلى اليوم كل ثلاثاء، في الشتاء بعد العشاء في جامع (منجك)، وفي الصيف يستضيفهم أحد المحبين لبستان خارج دمشق، يمضون يومهم فيه، نزهة واستراحة، ويقرؤون فيه مدارستهم القرآنية المنتظمة.

ثانياً: السهرات الليلية المنتظمة: وهي حلقات قرآنية منتظمة غالباً، وتعقد في البيوت في يوم محدد من الأسبوع بعد المغرب صيفاً، وبعد العشاء شتاءً، ويطلق عليها مصطلح (**الدور**)؛ نظراً لانعقادها أسبوعياً بشكل دَوري على مدار العام، كل أسبوع في بيت أحد أعضائها، حسب التسلسل الأبجدي لهم. وتضم الحلقة بين العشرة والعشرين من أفراد متجانسين إلى حد ما؛ مهنة وسنّاً وبيئة، وغالب هذه الحلقات مستمرة ومتجددة وممتدة لعقود عديدة، ولا يزال بعضها منتظماً إلى اليوم، منذ ما يزيد على الخمسين سنة، وقد تخرَّج منها ــ ولا يزال ــ عدد من الحفَظَة والقرَأة، ببركة دوامها وانتظامها، واستمرارها، وإخلاص منتسبيها.

ثالثاً: المدارسة القرآنية وأشكالها؛ الفردية والجماعية: وهي ترتيب مواعيد منتظمة بين حافظَين أو أكثر، يومياً أو يوماً بعد يوم، أو أسبوعياً، ويُعقد بعضها في المساجد بعد الفجر، أو بعد العصر، أو بين العشاءين، بحيث يتلو كل حافظ ربع حزب(1) غيباً، ويستمع إليه الآخرون. والمدارسة الجماعية قد تكون بين حفَظَة للقرآن الكريم كله، أو بعضه؛

ففي الحالة الأولى: (حفظ كامل القرآن) تكون المدارسة منتظمة، بحيث تتوالى القراءة من بداية القرآن الكريم إلى نهايته في ختم منتظم، (كما في مجلس القرَّاء الأسبوعي سالف الذكر)، كل حافظ يقرأ ربع حزبه، وميزة هذه الحلقات أنها منتظمة بالتسميع، بمعنى أنك تتابع فيها التلاوة بانتظام، والفرد فيها؛ إما قارئ، أو متابع مستمع ومراجع لحفظه، والجميع بمستوى واحد في ختم الحفظ الغيبي لكامل لقرآن الكريم.

وفي الحالة الثانية: (حفظ بعض القرآن) وتكون المدارسة هنا بتسميع كل قارئ حصته الخاصة به، منتظماً في هذه الحلقة، وهنا تتفاوت المستويات بين الحاضرين؛ بين حافظ متمِّم لحفظه، أو متقدِّم في الحفظ، أو حديث عهد بالحفظ، أو حافظ لأجزاء متفرقة من القرآن الكريم، وهكذا. وميزة هذه الحلقات أنك تتابع في الجلسة الواحدة تلاوات متنوعة من مختلف الأجزاء، كلٌّ حسب برنامجه ومستواه. ولا يلزم كون جميع الحاضرين حفَظَة خاتمين. وكان من عادة هذه المدارسات انتظام بعضها في المساجد بعد الفجر أو العصر، وانعقاد بعضها في البيوت في مجالس منتظمة دورياً؛ بعد المغرب صيفاً، وبعد العشاء شتاءً. وفي الحالتين يرأس الجلسةَ القرآنية شيخٌ حافظ فيديرها؛ فتحاً، وردًّا، وتصويباً لمن يحتاجه. والفرق واضح في المستويين؛ فالأولى: الفرد فيها مهيَّأ للقراءة حسب دوره من عموم القرآن الكريم، والثانية: الفرد فيها يقرأ حصته المحددة التي استعد

---

(1) اصطلح الحفَّاظ على تقسيم القرآن ثلاثين جزءاَ، ويضم الجزء حزبين، والحزب يوزع إلى أربعة أحزاب، ومعدل ربع الحزب صفحتان ونصف وسطياً من مصحف الحفَّاظ، والذي يتكون من عشرين صفحة، كل صفحة مكوَّنة من خمسة عشر سطراً، وتبدأ بأول آية، وتنتهي بنهاية آية، ويكاد هذا النوع من المصاحف الآن قد اشتهر وانتشر في غالب الطبعات الحديثة.

لها خصيصاً لهذه الجلسة. وهنا أنوِّه إلى أن من أشكال المدارسة القرآنية أيضاً ما اشتهرت به بعض مساجد دمشق قديماً وحديثاً، أن يقرأ الإمام ختماً منتظماً في جماعة الفجر، بمعدل ربع حزب في الركعتين، وبعض الجامعين للقراءات يقرؤون ختماً برواية مستقلة، ثم يتْبِعونه بأخرى على مدار الأعوام، ولهم قاصدوهم من مناطق مختلفة وبعيدة للمتابعة والمدارسة والمراجعة، وهذا لون خاص، ونشاط مميَّز لقرَّاء دمشق وجامعوها.

المطلب الرابع: بيان جهود النشاط النسائي في ظاهرة التحفيظ: للنساء نصيب مميَّز في الجهد والنشاط في حفظ القرآن الكريم، ويمتد إلى تاريخ قديم في دمشق، إلى جانب نشاط الرجال في هذا المجال، ويتفرع هذا النشاط من شيوخ القراءة إلى أفراد أسرهم من الإناث؛ كأخوات المشايخ القرَّاء، أو زوجاتهم، أو بناتهم، ممَّن يُحسِنَّ التلقِّي ويُتقِنَّ الحفظ، أو إلى مساجد مشهورة مميَّزة بإحياء أنشطة دينية، حيث هناك عدد من مساجد دمشق مهيأة ببنائها لإقامة حلقات علمية للنساء، فإضافة للدروس العلمية فيها تنشط أيضاً حركة التحفيظ فيها، وتجد من الطالبات والسيدات تنافساً حميماً في الحفظ والتحفيظ، لا يقل أهمية عن مثيله عند المشايخ، إن لم يكن في بعض أحواله أكثر جدِّية ونشاطاً وإنتاجاً، ولعل طريقة الشيخ محيي الدين الكردي في تشجيعه للحافظات نشطَّت ظاهرة التحفيظ مؤخراً، حيث جرت العادة إجازته لعدد من القارئات، يتولَّيْن متابعة الحافظات، ومن خلال المتابعة والتقويم تعطى الإجازة بالسند لمستحقتها. ويمكن القول بأن نشاط التحفيظ النسائي في دمشق كان له الدور الهام في انتشار وازدياد القارئات والحافظات داخل سورية وخارجها، حيث استطاعت المرأة الدمشقية حمل الإجازة بالسند من الشيخ لتنقلها وتجيز بها، من خلال متابعات مكثفة وزيارات ميدانية لمراكز تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في دول الخليج والأردن وغيرها.

المبحث الثاني: جهود خيِّرة طيِّبة، وخبرات مميَّزة نيِّرة في أسلوب التحفيظ، ونشاط جمع القراءات والإجازة فيها، ويتضمَّن المطالب الأربعة التالية:

المطلب الأول: نماذج حيَّة من مساجد ومراكز ومعاهد التحفيظ: ترجمت في المطلب الثاني من المبحث الأول لبعض القرَّاء الذين عاصرتهم، والحقيقة أن نشأة هؤلاء القرَّاء إنما كانت في مساجد جاوروها، فتركوا بصماتهم في هذه المساجد شاهدة على آثارهم ونتاجهم، فغدت هذه المساجد اليوم بفضل الله تعالى منارات هدى. والحقيقة أن بعض مساجد دمشق تتميز بتاريخها القديم في نشرها للعلم الشرعي، من خلال قرَّاء وعلماء وفقهاء نشئوا فيها، وخرَّجوا أجيالاً من طلاب العلم، الذين ضاعفوا جهدهم، حتى أصبحت بعض هذه المساجد أشبه ما تكون بخلايا نحل، يزدحم فيها الطلاب والحَفَظَة من كافة المستويات، ويتلقّون مختلف العلوم الشرعية في دورات منتظمة، إضافة إلى برامج منتظمة في حفظ القرآن وتجويده، بل أصبح من عادة هذه المساجد أن تقيم حفلاً سنوياً ومهرجاناً تقويمياً، تعرض فيه إنجازاتها على مدار العام، وتخرِّج فيه الحَفَظَة بإجازات بالسند المتصل في القراءة وغيرها من علوم الشريعة، وربما وصل العدد إلى مئات في كل عام، وهذا النشاط الدعوي الخيري مما تعتز به دمشق على مرِّ العصور، لما يتسم به من أريحية أبنائها، وأصالة أهلها، وعراقة رجالها. وهنا أشير إلى أشهر أسماء هذه المساجد والمعاهد المميَّزة، مع نبذة تعريفية بأنشطتها:

أولاً: جامع التوبة: وهو في حي العقيبة، من أحياء دمشق القديمة المشهورة بوفرة أهل العلم والصلاح فيه، حتى إنه كان يسمى عشَّ العلماء ومركز الأتقياء، لكثرة مَن يجاوره مِن علماء دمشق وقرَّائها الأفذاذ، ولهذا الجامع تاريخ عريق في نشأة العلماء وتدريسهم فيه، كحلقات الشيخ أبي الخير الميداني والشيخ محمد سعيد برهاني والشيخ عبد الوهاب دبس وزيت، رحمهم الله تعالى أجمعين، وهم امتداد مبارك لأسلافهم الذين تربّوا فيه، وتخرَّجوا منه، وتركوا بصماتهم على الحي خاصة، وعلى دمشق عامة؛ علماً وقراءة وسلوكاً وفضلاً، ولا يزال هذا الجامع إلى اليوم ينبض بالنشاط التعليمي، خاصة في مجال تحفيظ القرآن الكريم، ويقدم كل عام أفواجاً من الحفظة المميزين، من مختلف المستويات، وتشهد الدورة الصيفية فيه نشاطاً ملحوظاً مميزاً، وهي امتداد لما يربو على أربعين سنة، تتنافس في عطائها، وللشيخ هشام برهاني والشيخ عدنان شيخ الحدادين حفظهما الله الفضل في الإشراف على برنامج التحفيظ القائم، وتنظيم عملية الإقراء والتحفيظ والإجازة فيه.

ثانياً: جامع سيدنا زيد بن ثابت: وهو في حي باب السريجة، وله تاريخ أصيل، حيث هو امتداد لنشاط علمي ودعوي مميَّز، أسَّسه الشيخ عبد الكريم الرفاعي رحمه الله تعالى، ثم تنامى هذا النشاط على يد أبنائه وطلابه، وامتد إلى افتتاح عدد من المساجد داخل دمشق القديمة وفي ضواحيها، وأذكر على سبيل المثال بعض هذه المساجد؛ كجامع الإيمان، وجامع القصور، وجامع حمزة والعباس، وجامع بدر، وجامع الأكرم، وغيرها عديد، وحديثاً جامع الشيخ عبد الكريم الرفاعي، وهذه المساجد اليوم من أكبر مساجد دمشق سعة بعد الجامع الأموي (جامع بني أمية)، وهي حيَّة تنبض بالنشاط الدعوي والتحفيظي على مدار العام، وتتابعها إدارات مخلصة من الأساتذة والدعاة، المتفرغين لهذه الأنشطة حسبة وطواعية، وهذه المساجد لها استقلاليتها الإدارية، لكنها تتبع منهجاً واحداً، وأهم ما يميزها معايشة البيئة بوعي منفتح، وفقه للواقع، واندماج اجتماعي، وتقبُّل الشارع الدمشقي لها بثقة واحترام، وتلحق بركب مؤسسها الذي يعود الفضل لله تعالى، ثم له، ببركة إخلاصه في انتشار هذا النشاط إلى اليوم، حيث تميَّز هذا النشاط بالإقبال على حفظ القرآن الكريم، وتخريج دفعات كبيرة من الحفظة كل عام. حتى إن جامع زيد اليوم يُعدُّ بحق أحد أو أكبر مركز لتحفيظ القرآن ونشر القراءات بدمشق، وكان إلى عهد قريب بإشراف الشيخ أبي الحسن الكردي عليه رحمة الله تعالى، والذي ترك بصمات مميَّزة في إقراء الكثيرين من حفَّاظ وحافظات القرآن الكريم، وإجازتهم بالسند في ذلك.

ثالثاً: معهد الفتح الإسلامي: ومؤسسه الشيخ صالح فرفور رحمه الله تعالى أحد شيوخ دمشق المميَّزين علماً وفقهاً ودعوة، وإلى جانبه عدد من طلابه الذين اجتهد عليهم أعواماً في التأسيس والإعداد، حتى غدوا علماء ماهرين، فأسَّسوا هذا المعهد، وكان في بداياته داراً متواضعة للبنين، وأخرى للبنات في حي القيمرية أحد أحياء دمشق القديمة، يحفِّظ القرآن ويدرِّس أمهات علوم الشريعة، ثم تنامى وتكاثر وازدهر وأثمر بفضل إخلاص مؤسِّسيه، حتى غدا صرحاً مشيَّداً على طريق المطار، ويُعدُّ اليوم مفخرة لدمشق في تخريج طلاب العلم الشرعي الأكفاء، من أبناء سورية والوافدين إليها من مختلف أقطار العالم الإسلامي. وشهادة خرِّيجه معترف بها في

الأزهر الشريف للمتابعة والإكمال. والمهم الذي نبيِّنه أنه نتاج جهود خيِّرة لأهل البر والإحسان، نال مؤسِّسوه ثقتهم، فبذلوا بسخاء، وأنفقوا بعطاء، فهو عمل خيري مجرَّد، يؤتي أكله كل حين بإذن ربه.

ويجدر التنبيه هنا إلى أن نشاط تحفيظ القرآن قد امتدت رقعته مع الامتداد الجغرافي والتوسع العمراني لمدينة دمشق وضواحيها، فكانت ما تُعرف بالقرية المجاورة للمدينة، أصبحت اليوم ضاحية كبرى، إن لم تكن مدينة صغيرة، وبالتالي امتد نشاط التحفيظ إليها، فهناك مراكز لتحفيظ القرآن بالعشرات في هذه الضواحي، وفيها خير كثير، من حفظة وطلبة، وكلها نهلت وتنهل من معين القرآن الكريم وأهله في دمشق الأم.

رابعاً: معهد أبي النور: وهو في حي ركن الدين، ومؤسسه المفتي العام الأسبق الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله تعالى، وقد آل اسمه إلى مجمع الشيخ أحمد كفتارو، ويقصده أعداد كبيرة وجموع غفيرة من طلاب العلم من أبناء سورية، ومن الوافدين إليها، والذين يتمتعون بالسكن في الأقسام الداخلية فيه، وللمجمع أنشطة تعليمية وشرعية ودعوية مختلفة، منها مكتب القرآن الكريم الذي يرعى شؤون أنشطة تحفيظ القرآن، على مستوى مراكز الأسد للناشئة، إضافة إلى مستوى التخصص في جمع القراءات، وقد رصدت جائزة سنوية لحفظ القرآن باسم الشيخ رحمه الله، تقدم خلال مهرجان سنوي توزع فيه، وهي حسنة جارية لها من العمر ما يزيد على عشرين سنة. كما أنه يدرس العلوم الشرعية المختلفة، ويشارك في التدريس فيه نخبة من أعيان علماء دمشق، وللمجمع اتفاقات تعاون علمي لطلاب الجامعات وطلاب الدراسات العليا مع كل من جامعة أم درمان في السودان، وكلية الإمام الأوزاعي في بيروت، وكلية الدعوة الإسلامية في ليبيا، من حيث الدراسة والإشراف والمتابعة العلمية والمناقشة فيه، ثم التخرج من هذه الجامعات المرموقة، كما أن للمعهد مساجد عديدة في دمشق وضواحيها تتبعه في الإدارة والتنسيق؛ وهي بفضل الله تعالى تخرج كل عام أعداداً من طلاب العلم الشرعي والحفظة لكتاب الله تعالى من الذكور والإناث.

خامساً: جمعية المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني: وهو وقف لبناء من عدة أدوار، وقد شُيِّد منذ خمس عشرة سنة تقريباً عند قبر محدث الديار الشامية وشيخ المشايخ الشيخ بدر الدين الحسني في مقبرة باب الصغير، إحياء لذكراه. وتعود نشأة هذه الجمعية إلى جهود الشيخ بدر الدين عابدين مؤسس جمعية إسعاف طلاب العلوم الإسلامية في دمشق، في ستينات القرن الماضي، والتي أثبتت وجودها طيلة الحقبة من خلال إشراف الشيخ، ومتابعته المباشرة لأمورها، مع نخبة من أهل الخير البر المتعاونين معه، وتنقَّل مقرها في عدة مساجد ومناطق، كما تولى إدارتها بعد وفاة الشيخ عدد من المجالس، وتُعدُّ الجمعية اليوم من أهم المعاهد الشرعية، ومن أشهر معالم تحفيظ القرآن في دمشق بتوسُّعه في نشاطه التحفيظي على مستوى الذكور والإناث، إضافة لتعليم المواد الشرعية، وإنشاء الأقسام الداخلية للطلاب الوافدين عليه (من الجنسين)، وكغيرها من الجمعيات الخيرية فإن وزارة الشؤون الاجتماعية تتولى الإشراف الإداري عليها، إلا أن فكرة نشأتها هي محض جهد جماعي مخلص، وعمل خيري دائم، جادت ولا تزال تجود به ثلة طيبة من أهل البر والخير والإحسان من

أبناء دمشق، وبإشراف أهل العلم وتوجيههم، كما أن للجمعية أنشطة رائدة أخرى، في مجال الرعاية الاجتماعية، وإغاثة المحتاجين، وخاصة الطلاب الأجانب، والقيام بدور تثقيفي وتعليمي في المجتمع.

سادساً: جمعية الفرقان: وهي في منطقة المهاجرين، ويتبعها معهد الفرقان، وقد أسسه الشيخ بدر الدين عابدين رحمه الله تعالى، وكان يقصده أعداد من الطلبة الوافدين، وخاصة الأتراك، حيث فيه قسم داخلي، ثم تنامى جهد هذا المعهد، بجهود أهل الخير والبر، إلى أن أصبح معهداً مميزاً لتدريس مختلف العلوم الشرعية، إضافة لنشاطه المميز في حفظ القرآن الكريم، ويدرس فيه الأعيان من العلماء والمشايخ في دمشق، وقد طلب الشيخ بدر الدين عابدين من الشيخ عبد الكريم الرفاعي رفد المعهد بالمدرسين، والإشراف عليه، فكان لأساتذة جامع زيد بن ثابت الدور البارز في إدارة المعهد، ومتابعة أنشطته التعليمة والتدريسية والدعوية.

سابعاً: معاهد الأسد لتحفيظ القرآن الكريم، وقد باتت منتشرة في غالب مساجد دمشق وضواحيها، كمراكز دائمة لتحفيظ القرآن الكريم، وهي جدُّ كثيرة والحمد لله، وتتبع وزارة الأوقاف إدارياً، وتشمل الذكور والإناث، ويشرف عليها أساتذة متخصصون في التلاوة (من الجنسين)، وتكاد هذه المساجد تغصُّ بالطلبة والطالبات، الذين يتوافدون إليها في الفترة المسائية، يحيونها بحفظ القرآن وتحفيظه، وتعلُّمه وتعليمه، وإن كانت قد جرت العادة على إقامة احتفالات سنوية في عدد من هذه المراكز لتكريم الفائزين رمزياً. لكن من فضل الله تعالى على مدينة دمشق وضواحيها امتداد وتنامي نشاط تحفيظ القرآن على كافة الأصعدة، ومختلف المراحل العمرية، واختلاف المستويات الاجتماعية. ويغلب على هذا النشاط طابع الاحتساب لله تعالى تعلُّماً وتعليماً، والتنافس الحميم في هذا الجانب، رغبة في الأجر والثواب من الله تعالى.

المطلب الثاني: نماذج من برامج التحفيظ، ونشاط جمع القراءات: وأستعرض هنا عدداً من هذه النماذج وبرامجها، مما له أثر وبركة على جهود التحفيظ المعاصرة، والتي هي نتاج تراكم خبرات طيبة مباركة في هذا المجال، تنامت وتطورت وتكاثرت، فآتت أكلها أضعافاً مضاعفة. ومن هذه النماذج:

أولاً: منهج الشيخ محمد سُكَّر في التحفيظ: وحيث عايشت هذا المنهج عملياً، فإنه يجدر أن أعرِّف بهذا المنهج في طريقة الإقراء؛ فقد كان الشيخ رحمه الله تعالى يبدأ بمرحلة التحفيظ الغيبي من (الفاتحة)، ثم من آخر جزء عمَّ (سورة الناس) إلى (سورة النبأ)، مع التركيز على الأحكام التجويدية، ويبدأ بالأساسيات؛ كالغنة، وأحكام النون الساكنة والتنوين، والميم الساكنة، ثم المدود، وتقويم المخارج، وضبط الصفات، من أول جلسة للقراءة على الشيخ، وبتوازن مع الحفظ، وشرح الجزرية أسبوعياً مع حفظها غيباً. ولا يتجاوز اللحن بنوعَيه في تلاوة مفردة ما حتى يتم ضبط الخطأ، ويستقيم اعوجاجه، ويقف عنده طويلاً، ويصبر على طالبه بنفْس رضية، وتلك ميزة تميَّز بها الشيخ رحمه الله تعالى، ولعلها طريقة تميِّز طلابه في الضبط والإتقان. وربما استمر الطالب في تعلم البسملة أكثر من جلسة، وفي الفاتحة أكثر من أسبوع، وفي ختم جزء عمَّ أكثر من شهر، لينطلق بعدها في الحفظ على أساس متين في قاعدة الأحكام المختلفة، والمخارج والصفات، فيقرأ بسلاسة، يندر فيها اللحن، لأنه أتقن القواعد والأصول في مرحلة التأسيس الأولى، ولا يبالي الشيخ أن يطلب

من الطالب إعادة تسميع حصته من الحفظ إذا كان أداء الحفظ ضعيفاً، أو يخفف له من الحصة ليعينه على تمكينها في الجلسة القادمة، وكان رحمه الله تعالى لا يعرف المجاملة في هذا الأمر أبداً، لكن أهم ما يميز جلسته ذاك الجاذب الروحاني الخالص الذي يجذب به الطلاب للقراءة، فهو رغم شدته في المتابعة، وصلابته في الضبط، ودقته في الملاحظة، كنا نشعر بالمحبة والرغبة والعزيمة على المتابعة إلى آخر المشوار الحفظي، ﴿وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾[النساء: 113]، وقد أفدنا من هذا المنهج كثيراً، والحمد لله تعالى، إذ أصبح مما يميِّز طلبته الذين حملوا لواء القراءة والإقراء، وخاضوا ميدان التحفيظ بنفس الطريقة والأداء. وقد يرى الآخرون في هذه الطريقة شدة وجدية تجعل الحماس عند الطالب ضعيفاً للمتابعة والحفظ، فيتساهلون في التشديد، ويخفِّفون من التدقيق، رغبة في تحفيز الناشئة، وتشجيعهم على المتابعة، لكن ومن واقع مَيدان الحفظ والتحفيظ، ومن الخبرة المتواضعة في المتابعات والإقراء والتحكيم، وجدنا أن التأسيس القوي الذي كان يجِدُّ به الأشياخ المميزون ــــ رحم الله الجميع، وبارك وحفظ الأحياء منهم ــــ كان له الأثر الواضح في قوة الحفظ، وضبط المتلقِّي، وأدائه المميز.

ثانياً: برنامج التفرُّغ الصيفي: وهو فكرة رائدة، بزغت في منتصف العقد السابع من القرن الفائت، وكان أول تطبيق لبرنامجها في جامع التوبة بدمشق، وملخَّص البرنامج: أن تتفرَّغ مجموعة متجانسة من الطلاب، مدة شهر كامل في الصيف للحفظ حصراً، بحيث ينتظمون في برنامج يوميٍّ مكثَّف، من قبل الفجر إلى ما بعد العشاء في الجامع، ينضبط الوقت فيه موزعاً بين حفظ خمس صفحات جديدة، ومراجعة وتثبيت المحفوظات السابقة، تحت إشراف مرشدين يتابعونهم يومياً بالتناوب، وتؤمَّن للطالب وجباته الثلاث وخدمته، ويُفرِّغ وقته وجهده لهذه المهمة حصراً، ويُمنع من أي نشاط خارجي عن هذا البرنامج، فيقيم في الجامع ستة أيام متتالية، دون مغادرة، ويُجاز نهاية الأسبوع يوماً كاملاً لزيارة أهله وحاجاته الخاصة، كما تُفرَّغ المجموعة يوماً كاملاً خلال الأسبوع، لاستراحة مميَّزة بنزهة ترفيهية لأحد البساتين، يُمضون يومهم ترفيهاً وتنشيطاً، وقد أجدى هذا البرنامج، وأنجز المتفرغون فيه حفظ ما بين خمسة إلى سبعة أجزاء قرآنية في كل دورة، حسب استعداد الطلاب، وكانت هذه الأجزاء من أقوى المحفوظات وأمتعها وأيسرها، لما تميزت به من أجواء روحانية وتنشيطية، ذات ذكريات عزيزة وغالية. وقد تتالى وتنامى تنشيط هذه الفكرة الرائدة، وأخذت بها مراكز تحفيظ عديدة في مدن وبلدان مختلفة؛ أذكر منها على سبيل المثال مركز الفاروق لتحفيظ القرآن الكريم في دبي، الإمارات العربية المتحدة.

ثالثاً: جمع القراءات: وهي مرحلة ما بعد الختم والحفظ الغيبي لكامل القرآن الكريم على رواية واحدة، إذ تبدأ مرحلة جمع القراءات، مستهلة بالتزامن مع الحفظ المنتظم لأبيات الشاطبية، ويقوم الشيخ بمتابعة الطالب في تلاوته لرواية واحدة كاملة من الروايات الأربع عشرة، فيقرأ الطالب على الشيخ سورة البقرة كاملة

لكل راوٍ، فيضبطها له، ويعطيه خلال التلاوة رموز وقواعد الراوي، والأصول وفرْش الحروف(1)؛ حتى إذا ما أنجز الطالب إتقان الروايات، وتلاوتها واحدة تلو الأخرى منفردة لكامل سورة البقرة، بدأ بعدها بالجمع الكبير، بحيث يقرأ ختماً كاملاً، يستعرض في كل آية جميع أوجه الروايات والقراءات والأصول وفرْش الحروف فيها، وكان من عادة القراء تقديم الجامع في دَور القراءة على غيره من الحفَظَة، لسبقه، وتشجيعاً للآخرين، بحيث يستمع جميع الحفَظَة إليه، ويتابعون تقويم الشيخ له، منتظرين دورهم في القراءة بعده.

رابعاً: البرنامج السنوي: اشتهرت قراءة الجزء في صلاة التراويح في بعض المساجد المشهورة، بحيث يختم الإمام القرآن كاملاً خلال شهر رمضان، وكان يؤم المصلين عدد محدود من القَرَأة الجامعين في بعض المساجد، كما كان القاصدون محدودين، إلى أن بدأ انتشار هذه التظاهرة القرآنية الطيبة في عدد من مساجد دمشق، بفضل تخريج جيل من الشباب الحفَظَة، والذين يجدونها فرصة للتدرب على الإمامة، وتمتين حفظهم، وقد أنشأت إدارة جامع التوبة بدمشق في سبعينيات القرن المنصرم برنامجاً مميزاً لتأمين حفَظَة لإمامة التراويح، ومبررها إيجاد حفَظَة يتولَّون إمامة التراويح في قراءة الجزء من شباب الجامع، بعد أن استضاف الجامع لسنتين متتاليتين حافظَين مشهورَين للإمامة، فارتأت إدارة الجامع توزيع أجزاء القرآن الثلاثين على عشر حلقات، كل حلقة مؤلفة من ثلاثة طلاب، يحفظون ثلاثة أجزاء متتالية، ويرأسهم مشرف من الأساتذة، يلتقون بعد عشاء كل ثلاثاء في أحد زوايا وأركان الجامع الفسيح، يصلون النافلة بركعات، تراجع كل حلقة ما حفظته من هذه الأجزاء الثلاثة خلال الأسبوع بانتظام وترتيب، في صلاة هذه النافلة استعداداً للتراويح، بحيث يتولى مشرف الحلقة ضبط الحفظ وانتظام المراجعة، والتهيئة الحافزة لإمامة التراويح في رمضان القادم، وقد أجدت هذه التجربة بجدِّيتها ومتابعتها، وتمخَّضت عن اختيار ثلاثة ناشئين، أمُّوا صلاة التراويح بقراءة الجزء بالتناوب ذلك العام، وتوالى تنشيط وتفعيل هذه التجربة مستقبلاً، كما تم من بعدها انتشار هذه التظاهرة المباركة وتعميمها، حتى غدت مساجد عديدة في دمشق اليوم يؤم الحفَظَة الشباب بقراءة الجزء فيها، بل أصبحت الأكثر شيوعاً من خلال الإقبال المميز، والحضور اللافت فيها، ولله تعالى الحمد والمنَّة.

خامساً: المدارسة المنتظمة: اشتهرت عند الحفظة عبارة: (مَن قرأ الخَمْس لم يَنْس)، ومقصودهم أن مَن واظب من الحفَظَة على تلاوة ومراجعة خمسة أجزاء كل يوم، فهو لن ينسى حفظه يقيناً، لأنه سيراجع كامل حفظه للقرآن الكريم بمعدل مرة أسبوعياً، أو كل ستة أيام تقريباً. وطبعاً هذا ديدن الكثير من الحفَظَة، المهتمين بحفظهم، حيث مما لا يخفى أن المراجعة وتثبيت الحفظ أهمُّ من الحفظ ذاته، وإهمالها أشدُّ خطراً، لتفلُّت الحفظ وضياعه بمجرد إهمال المراجعة، والحديث الصحيح يؤكد هذا المعنى؛ فعن عبد الله ﷺ قال: قال النبي

---

(1) الأصول هي الكلمات التي تندرج تحتها جميع الجزئيات المتماثلة كقواعد المد والهمزة والإمالة، وتصل إلى سبعة وثلاثين أصلاً؛ كالإظهار والإدغام والترقيق والإشمام وياءات الزوائد وغيرها... وفرْش الحروف: هي الجزئيات التي يقع الخلاف في قراءتها ولا يقاس عليها. منجد المقرئين، ابن الجزري: ص: 61.

ﷺ: (بئس ما لأحدهم أن يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل نُسِّي، واستذكروا القرآن، فإنه أشدُّ تفصِّياً من صدور الرجال من النَّعَم)(1)، ولعلي من خبرتي المتواضعة هنا أن أذكر نصيحتي المتكررة لمن أُقرئهم أن يواظبوا على مراجعة ربع حزب عقب أداء كل فريضة صلاة، وهو وقت قصير، ملائم زمناً ومكاناً واستعداداً، لا يحتاج لتفرغ وتخصيص، مقارنة بالالتزامات اليومية العامة، لكن هذه المراجعة المنضبطة شديدة الفائدة، إذا ما ألزم الحافظ نفسه بها، حيث سيراجع في ثلاثة أيام جزأين تقريباً، وهذا مقياس رائع في المراجعة لو تمَّ التزامه.

سادساً: المراجعة المنكوسة: ولعلها إحدى الوسائل العملية لتثبيت الحفظ، يلجأ إليها بعض الحفظة في استذكار ومراجعة حفظهم، كما يطلبها بعض الممتحنين للحفظة لمعرفة مدى متانة الحفظ وقوته، ولا يمكننا أن نعتبرها طريقة صحيحة في القراءة، ولا يسمح بإشهارها، ولا التعبد بها خاصة في الصلاة لكراهتها، بمقدار ما تعدُّ لوناً من ألوان المراجعة للاستذكار وتمكين الحفظ، وبشكل مقيد ومحدود. وطريقتها أن يقرأ الحافظ آيات كل صفحة؛ بدءاً من الآية الأخيرة، فالتي تسبقها، وهكذا إلى أول آية في الصفحة عكساً، فيستذكر القارئ الصفحة ويستحضرها، كما لو كانت حاضرة نصب عينيه، فالحافظ المتقن يحفظ غيباً آيات الصفحة وأرقامها، ومواضعها من الصفحة، وكلمات الآية ومواقعها بين السطور وزوايا الصفحة. وهو حين يحفظ فإنه يتقن كل متعلقات الحفظ شكلاً ورسماً وموقعاً، لذا فهذا النوع من المراجعة قد يفيد في بعض حالات تمتين الحفظ وتمكينه وتثبيته.

سابعاً: مراحل الحفظ وطرائقه ووسائله: ونبحث هنا في آليات عملية لحفظ القرآن الكريم، من خلال تبادل الخبرات، واستعراض المهارات، وتناول التجارب في هذا الميدان، ونركز هنا على أمور هامة لا بدَّ من توافرها في عملية حفظ القرآن الكريم، وأهمها:

الأمر الأول: توافر الصدق في الطلب، والإخلاص في الهمة، والعزيمة الجادة في مرحلة الحفظ، بمعنى أن يحسن التوجه في القصد، فلا يتشاغل بمغريات الحياة، بل ينصرف عن اللهو المفرط في مُتع الدنيا، وهنا يرتِّب أمره على مبدأ فقه الأولويات، فيجعل الحفظ همَّه الأول، ويقدِّمه على سائر أموره الأخرى، ولا يجعله أمراً ثانوياً، ولا إضافياً، بل يفرِّغ له من الوقت أهمَّه وأفضله وأتمَّه وأكمله، ويجعل مرحلة الحفظ شغله الشاغل، ولا غرابة في هذا، فكل مَن يسير في هذا المشوار المبارك يفتح الله تعالى عليه ببركة الحفظ، ويكون وقته منتظماً ملتئماً، وهذا مجرَّب حقَّاً.

الأمر الثاني: التماس الشيخ المقرئ القدوة الذي يضبط للقارئ أصول التلاوة، ويقوِّم اعوجاجها، إذ لا يأذن القرَّاء بالقراءة اجتهاداً من دون شيخ، خشية أن يلحن في تلاوته لحناً جلياً، ويشيع بين العامة الجهل في التلاوة، فميزة القرآن الكريم بلوغه إلينا بالتلقِّي والمشافهة، وسِرُّ القراءة في التلقِّي والمشافهة كابراً عن كابر،

---

(1) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب استذكار القرآن وتعاهده، رقم الحديث: 4644. ومعنى أشدّ تفصِّياً: أشدّ خروجاً، يقال: تفصَّيت من الأمر تفصِّياً: إذا خرجت منه وتخلَّصت. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير: 372/3.

وبالتالي فلا يصح أن يقرأه المسلم إلا على أهله، فضلاً عن أن يدرِّسه ويلقِّنه للآخرين دون دربة وإجازة. حيث سيقع في غلط وخطأ غير متعمد، وذاك ما يتزّه القرآن وأهله عنه. ولا يصح أن يجتهد المرء في تلاوة القرآن، اعتماداً على خبرته في أصول العربية، واجتهاده في تحليل المفردات القرآنية وتهجيتها، إذ كثيراً ما يقع فاعل هذا في زلات فادحة، وأخطاء شنيعة، من خلال الاجتهاد الشخصي في الحفظ والقراءة والتلاوة.

الأمر الثالث: حسن التخطيط لمرحلة الحفظ؛ بمعنى أن يقسِّم القدر المحفوظ إلى أقسام مقدور على حفظها حسب استعداده، فلا يكلِّف نفسه إلا بحدود طاقتها، وجرت عادة الحفَّاظ حفظ ربع حزب للجلسة الواحدة، ومقداره صفحتان ونصف تقريباً، ومَن لا يقوى على ذلك فتكفيه الصفحة تلو الأخرى، وهنا ينبَّه إلى أهمية الحفظ من نسخة مصحف الحفَّاظ، والذي سبقت الإشارة إليه. ولا ينصح أبداً تغيير نسخة المصحف في مرحلة الحفظ، إذ كثيراً ما يؤدي ذلك إلى التشويش في الذاكرة، حيث الحافظ المتقن يحفظ الصفحة بآياتها، وأحياناً أرقام الآيات، ومواطن المفردات، ومواقعها في الصفحة، وهذا لا ينضبط إلا إذا وحَّد الحافظ نسخة مصحفه في مرحلة الحفظ.

الأمر الرابع: وجود رفيق الدرب الصالح في عملية الحفظ، والذي له الأثر الواضح في تنشيط الحفظ وتشجيعه، من خلال المدارسة الفردية، أو صلاة النافلة الليلية التي يراجعون فيها حفظهم، وهذا أمر مجرَّب، وله آثار إيجابية نافعة وملموسة، إذ القراءة في الصلاة تعين على ضبط التذكر، حين يرتبط قلبه ووعيه بالقراءة، ولا يجد فسحة للالتفات أو كثرة انشغال، أو زيادة حركات، مما يعينه على التذكر والضبط وتثبيت الحفظ.

الأمر الخامس: محاولة الرجوع إلى تفسير مبسط لمعاني المفردات كتفسير الجلالين، لشرح بعض المفردات، إن أشكل فهمها، وهذا مما يعين على حسن فهمها، ويزيد في تمتين الحفظ وترسيخه، دون التعمق في التفسير والبحث فيه، إذ أن هذا أمر آخر يتجاوز مرحلة الحفظ إلى مرحلة أوسع وأدق في علم التفسير.

الأمر السادس: انتظام المدارسة والمراجعة، فآفة الحفظ النسيان، والمدارسة المنتظمة أهم من الحفظ، لأنها تثبِّته وتمكِّنه، فالقرآن الكريم سهل الحفظ سهل النسيان، فإذا حفظ القارئ حفظاً ضعيفاً، ولم يتعاهد حفظه بالمدارسة المنتظمة، فإنه سرعان ما يضيع ويتفلَّت، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: (تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لَهُوَ أشدّ تفلُّتاً من الإبل في عُقُلِها)(1)، لذا يُنصَح بهذا الأمر، ويُحضُّ عليه، ويُلزَم به، حرصاً على متانة الحفظ، فقد وردت الآثار بالمعاتبة لمن نسي القرآن أو تناساه، وهنا يفرَّق بين المتقاعس والمتعمِّد، وشتَّان بينهما(2).

---

(1) صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية، رقم الحديث: 1317.

(2) عن سعد بن عبادة ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: (ما من امرئٍ يقرأ القرآن ثم ينساه إلاَّ لقي اللّه يوم القيامة أجذم). سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه، رقم الحديث: 1474. وقريب من هذه الرواية عند أحمد. وأغلب الأحاديث في هذا الباب في أسانيدها مقال، ولكنها بمجموعها يقبل العمل بها في الفضائل، كما نصَّ عليه أهل العلم.

وعلى العموم فمرحلة التحفيظ ليست بالسهلة ولا الصعبة، إذا ما أتقن الشيخ حُسْن التلقين والتعليم، وأتقن الطالب حُسْن التلقِّي والتعلم، في عملية متوازنة، لذا فمن خلال خبرتي في هذا المجال، وعملي كمحكِّم ومحفِّظ لفترات طويلة، فقد لاحظت عدداً من الجهود الضائعة للناشئة، سببها عدم جِدِّية الشيخ في التلقين حين يركِّز على الحفظ السريع، دون التروِّي في التلقين وضبط الأداء، فهناك مطبَّات كثيرة في الحفظ يقع فيها الحافظ، وغالباً الحفظ السريع سريع في تبخُّره وضياعه، وهذا ما لمسناه أثناء حفظنا وتحفيظنا، فيجب تعاهد الحفظ بالمراجعة المنتظمة، وقبل هذا من الأهمية بمكان الحفظ الهادئ المنضبط بالتزام أحكام التلاوة والتجويد، بحيث لا يرخص للطالب أن يحفظ أو يراجع حفظه إلا بتجويد وضبط للأحكام، ولو على الأقل التزام أسلوب الحَدْر في التلاوة، وهو القراءة بسرعة مع ضبط الأحكام التجويدية.

المطلب الثالث: ظاهرة انتشار الإجازات في القراءة جمعاً وحفظاً، والحرص على اكتسابها: من المتعارف عليه أن القارئ لا يُعدُّ قارئاً ولا حافظاً في مجالس القرَّاء إلا إذا قرأ ختماً كاملاً غيباً على شيخ مجاز بالقراءة، وأجازه في القراءة والإقراء بالسند المتصل المتواتر إلى سيدنا رسول الله ﷺ، وقد عُرفت الإجازة بالسند منذ قرون طويلة، وكانت ولا تزال هذه الظاهرة المباركة منتشرة في بلاد المسلمين في شتى علوم الشريعة، فما إن يقرأ الطالب على شيخه كتاباً من كتب الأصول، وينتهي منه، إلا وينال به الإجازة فيه قراءة وتعليماً، وهذا ما يميز به ديننا الحنيف أنه وصلنا بالسند المتصل كابراً عن كابر، واشتهرت عبارة (الإسناد من الدين). وقد تكون الإجازة إذناً شفوياً غير مكتوب ولها اعتبارها، وقد تكون مخطوطة مكتوبة، كما بدا منتشراً في الآونة الأخيرة. وتتشابه صور الإجازات في مضمونها من حيث سرد سند القراءة، والتذكير بأمانة حملها، وقد كان القرَّاء يتشددون في منح الإجازة، ولا تعطى إلا بعد اجتياز الحفظ الغيبي الكامل للقرآن الكريم، والتوثُّق من الضبط والإتقان للأحكام التجويدية، حتى إن شيخنا الشيخ محمد سُكَّر رحمه الله تعالى كان في بداية الأمر لا يجيز إلا على الجمع الكبير، ثم في أواخر أمره أصبح يجيز على الختم برواية حفص تشجيعاً. كما تتمايز الإجازات بعلوِّ الإسناد، وعدد شيوخ الإجازة، حيث عدد مشايخ السند في هذا العصر يتراوح بين الثمانية والعشرين والثلاثين من القَرَأة بالسند المتصل المتواتر إلى النبي ﷺ، وقد تنامت مؤخراً ظاهرة انتشار الإجازات في مختلف علوم الشريعة في دمشق، حتى غدت مظهراً مبالغاً فيه، يحتاج إلى تريُّث ومراجعة، وضبطه بقواعد وشروط تحدُّ من غوغائية منح الإجازات، وتعيد للإجازة هيبتها العلمية، ومكانتها التشريعية.

المطلب الرابع: منهجية الحفَّاظ في طريقة التحفيظ: وأشير هنا إلى المنهجية التي تميز بها الحفَّاظ في دمشق في طريقة التحفيظ؛ من الإخلاص في هذا العمل لوجه الله تعالى، والحزم، والدَور المنتظم في الحضور، والترتيب الجاذب للالتزام بالحفظ، وإكمال مشوار الختم برغبة جادة، وعزيمة صادقة، وإخلاص السائرين في هذا الدرب المبارك من شيوخ وطلبة. فتجد الالتزام بالدوام والحزم والحضور والمتابعة والمثابرة دون تباطؤ ولا ملل، ومجانيَّة التحفيظ حُسْبَة لوجه الله تعالى، دون أجر أو مقابل مادي سوى رجاء القبول عند الله تعالى، وطمعاً في الأجر والثواب الأخروي. وإن كان هناك شيء من التشجيع الرمزي من احتفال وتقدير وتحفيز على

الحفظ، فهو على قدر الحال، وفي بعض الأحوال، وليس معمَّماً. وبالمناسبة فإنني أنوِّه هنا إلى أخينا فضيلة الشيخ الدكتور أيمن رشدي سويد، أحد ثمرات جهود القرَّاء في تحفيظ القرآن الكريم في دمشق حاضراً، وهو علَم متألِّق في القراءة، وبرامجه مميَّزة في تجويد القرآن الكريم وتعليم أحكام التلاوة على فضائية (**اقرأ**)، وقد أخذ أصول القراءة كابراً عن كابر، حتى بلغت إجازاته بالسند في التلاوة ستاً، من أكابر أهل الإقراء في بلاد الشام ومصر. ولعل أسلوبه في التعليم والتقويم صبراً وأنساً وحثاً وأدباً ودأباً، يذكِّرنا بمجالس القرآن الغابرة والقائمة في دمشق، وكيف كانت ولا تزال جاذباً روحياً للقراءة والنشاط، وهي مجالس نورانية، تتجلّى فيها نفحات ربانية، تتنزل فيها الملائكة بالرحمة على جالسيها ومنتسبيها، ولطالما نُدِبْنا للتعرض لها. فعن أبي الدرداء ﷺ قال: (التمسوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، واسألوا الله أن يستر عوراتكم، ويؤمِّن روعاتكم)(1).

الخاتمة: وتتضمن مجموعة نتائج مستفادة، وتوصيات مقترحة.

أهم النتائج المستفادة:

1. انتشار ثقافة الحفظ والتحفيظ في دمشق يعود لتوفيق الله تعالى أولاً، ثم للجهود الطيبة للقرَّاء والحَفَظَة والجامعين، ولدورهم الطيب أيضاً في نشر علم القراءات، وبثِّه، والإجازة فيه، مما أثمر عن نتائج طيبة، ظهر فضلها في الأجيال اللاحقة عبر قرون طويلة، ولا يزال ممتداً متنامياً بعونه تعالى وتأييده.
2. إبراز أهمية الأوقاف الإسلامية، ومدى نفعها، وجدوى أثرها في تعزيز ظاهرة الحفظ والتحفيظ في دمشق، حيث تعددت عبر القرون الغابرة المدارس القرآنية الموقوفة على التحفيظ، ولا تزال بعضها إلى يومنا هذا تؤدي رسالتها الموقوفة عليها. وقد تميَّز الواقفون بالتقوى والبِر والديانة والعبادة والزهد والحرص على تعليم القرآن الكريم، وهم من فئات شتى؛ من حكام وعلماء وتجار وأصحاب أملاك.
3. الاحتساب لوجه الله تعالى في عملية التحفيظ والقراءة والإقراء ظاهرة عامة في أهل القرآن في دمشق، بغضِّ النظر عن مهنة الشيخ المحفِّظ ووضعه المادي، فلا يعهد أن يتناول على تحفيظه عطاءً، بل سمة طالب الحفظ والمحفِّظ أنهما يطلبان الأجر والثواب من الله تعالى في عملية التحفيظ.
4. انتشار ظاهرة الإجازة بالسند، وتوسُّع بعض المجيزين في منحها لمجرد ضبط الأداء، وإتقان أحكام التلاوة والتجويد، دون الحفظ الغيبي، مما ساعد على تنشيط حركة التحفيظ في المساجد، وكذلك على الصعيد النسائي في مراكز التحفيظ والمعاهد المخصصة لذلك.
5. تميُّز النشاط القرآني الدمشقي عن غيره في الضبط والإتقان للمخارج والصفات، وهذه شهادة حق يعتز بها ورَّاث التلاوة في دمشق عن أهل القرآن؛ فهناك ما يُشتهر بالقراءة الحلوانية، والدبسية، والسكَّريَّة، نسبة إلى مشايخ القراءة، حتى أصبحت صفة مميزة للقراء وطلابهم يميَّزون بنبرتها وعذوبتها.

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الزهد، رقم الحديث: 36.

6. شمول مجال الحفظ جميع شرائح المجتمع الدمشقي بكافة أطيافه وأعماره، فتجد الجامع الأموي يستقبل بعد الفجر والعصر والمغرب حلقات متنوعة لعدد من الفئات؛ فهناك التاجر والصانع والحرفي والعامل والطالب المدرسي والجامعي والأمِّي وغيرهم. والشيخ يُقرئ الجميع دون تمييز، وكلهم ينهلون من مائدة القرآن الجامعة. كذلك اشتهار ما يعرف بالبيئة القرآنية، والبيت القرآني، والأسرة القرآنية؛ وهي التي يكون جميع أفراد الأسرة تقريباً كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، شيباً وشباناً من الحفَظَة الماهرين، وهذا فضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء.

أهم التوصيات المقترحة:

1. إنشاء اتحاد عالمي، أو تأسيس جمعية عامة لحفَّاظ القرآن الكريم، بحيث تكون مرجعية علمية، تتولى ضبط أنشطة الحفظ وتقييمها، وتبادل الخبرات العملية، وتوحيد الرؤى المستقبلية، وتوثيق الإجازات، وربط الحفظة برباط إداري علمي موحد مشترك.
2. تنشيط ظاهرة الحفظ على مستوى العالم الإسلامي، وتوظيف الوقف الإسلامي لخدمة الحفَظَة، وتمويل أنشطتهم وتحفيزهم بجوائز تشجيعية تنافسية، تزيد من دافعية الحفظ، وتكثر من تخريج الحفظة.
3. تنشيط ظاهرة جمع القراءات، والمحافظة على إحياء هذا العلم في المساجد ومراكز التحفيظ، ونشر علم القراءات من خلال تقريره في كليات الشريعة والدراسات الإسلامية في الجامعات الإسلامية المرموقة.
4. تنشيط ظاهرة الإجازة في الحفظ، ووضع الضوابط العلمية للحصول عليها، وتنظيم منحها، وتوثيق إصدارها، حيث باتت الإجازات مؤخراً ظاهرة تتكاثر في مجالس التحفيظ، حتى غدا الحصول عليها هدفاً لذاته، لا لتحصيل العلم الشريف، مع ما يداخله من مظاهر الرياء والمباهاة وحب الظهور.
5. إشهار المسابقات الدولية في حفظ القرآن الكريم، وتنافسها في البرامج والفعاليات والتنظيم والتحفيز، والاستفادة من المسابقات الدولية المنتظمة الحالية، كما في قطر والسعودية وماليزيا والإمارات والبحرين والسودان وتركيا وإيران، وغيرها من دول العالم الإسلامي.
6. استغلال وسائل الإعلام بكافة أطيافها؛ المرئية والمقروءة والمسموعة، لإبراز أنشطة الحفَظَة، وتحفيزهم وتشجيعهم، وتنافس القنوات الفضائية المختصة بالقرآن الكريم؛ كالفجر والمجد وغيرهما، وإشهار المزيد من هذه القنوات، والعناية بإخراجها وتطوير برامجها، بحيث تكون جاذبة فاعلة مؤثرة، تتَّسم بالحداثة والتطور العلمي والتقني، وتخاطب شباب الأمة وفتياتها بلغة العصر وروح المعاصرة، بعيداً عن الجو المنغلق، والنظرة التشاؤمية الضيِّقة.
7. عقد مؤتمر دولي دوري سنوي، ترصد فيه الجهود المبذولة لحفظ القرآن الكريم، ووضع الخطط والاستراتيجيات اللازمة لتنشيط وتقييم هذه الجهود المباركة، والإفادة من المبادرات القائمة، وتبادل الخبرات التخصصية في هذا المجال.

تم البحث بحمد الله تعالى وعنايته وتوفيقه، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه وتابعيه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

1. البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق د/عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت: 1430ــ2009.
2. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/أولى: 1420ــ2000.
3. الجامع الأموي بدمشق (نصوص) لابن جبير والعمري والنعيمي، تحقيق د/محمد مطيع الحافظ، دار ابن كثير، دمشق ــ بيروت، ط/أولى: 1405ــ1985.
4. الدارس في تاريخ المدارس، عبد القادر بن محمد النعيمي، تحقيق الأمير جعفر الحسيني، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق: 1948.
5. دور القرآن الكريم بدمشق، د/محمد مطيع الحافظ، دار البيروتي، دمشق، ط/أولى: 1430ــ2010.
6. دور القرآن في دمشق، عبد القادر بن محمد النعيمي، تحقيق د/صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط/ثانية: 1973.
7. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت: 1995.
8. سنن أبي داود السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجنان، دار إحياء التراث، بيروت، ط/أولى: 1409ــ1988.
9. سنن الترمذي، المكتبة التجارية مصطفى الباز، دار الفكر، بيروت: 1414ــ1994.
10. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، حققه فؤاد أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الريان للتراث، القاهرة، ط/أولى: 1407ــ1987.
11. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة العصرية، صيدا ــ بيروت: 1424ــ2004.
12. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى: 1421ــ2001.
13. قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام أبيدوا أهله، جلال العالم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة وحلب وبيروت: 1978.
14. القراءات وكبار القراء في دمشق؛ من القرن الأول الهجري حتى العصر الحاضر، د/محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ط/أولى: 1424ــ2003.
15. القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ابن طولون الدمشقي، تحقيق محمد بن أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق: 1401ــ1980.

16. المدرسة العمرية بدمشق وفضائل مؤسسها أبي عمر محمد بن أحمد المقدسي الصالحي، د/محمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ط/أولى: 1421ـ2000.

17. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/أولى: 1411ـ1990.

18. المصنف في الأحاديث والآثار، الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق عبد الخالق الأفغاني، طبعة: 1970.

19. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العيثمين، مكتبة الرشد، الرياض: 1990.

20. منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق د/عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت: 1980.

21. الموسوعة الحديثية لمسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط وإخوانه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/أولى: 1421ـ2001.

22. الموطأ، الإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار سحنون، تونس، ط/ثانية.

23. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، دار الكتب العلمية، بيروت: 1383ـ1963.